الرسول نموذج للكمال البشري:

فإذا ما جاء إنسان وصاح أيها الناس ، إنني جئت لأخبركم بهذا اللغز لأنني عرفت من سخر لكم هذه الأشياء. أظن أن أقل منطق يجعل الأذان تستجيب لهذا الداعي لتسمع نمه حل اللغز الذي كانوا مشغولون به.

فإذا ما جاء رسول من جنسي وقال لي: أنا أحل لك هذا اللغز وإن الذي سخر لك هذه الأشياء هو القوة التي سمت نفسها الله.

إذن فقد حل اللغز الذي أطلب أنا حله وبعد ذلك يقول الرسول ذلك. ويأتي الآية والمعجزة على أنه صادق.

فإذا ما جاء بالمعجزة الدالة على أنه صادق.. أقال أنا الذي فعلت؟ لم يقل ذلك.. هو أيضا خرج من هذه المسألة. وقال أنا لم أفعل أيضا وإلا لو أنه استغل المعجزة التي جاءت على يده ولم يستطع أحد أن يجيء ببينة وأتحداكم أن تجيئوا به فلو أنه قال وأنا الذي فعلت ذلك ربما وجد مصدقا ، ومع ذلك لم يقلها أبدا ، بل قال أنا متلقيها عن القوة الخفية التي فعلت.

ولذلك حينما أراد الحق سبحانه وتعالى أن يجلي هذه العقيدة علميا والعقل يتطلبها والعقل يؤيدها فقال تعالى:

﴿ قُل لَّوْ شَاء اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ (يونس:١٦).

أنا جئت بهذا وأنا سني الآن أربعون ، هل جربتم على منطقا كهذا المنطق المعجز قبل أن أبعث أبدا ، وأنا معكم منذ أربعين سنة؟

وهل تتفجر العبقرية بعد الأربعين؟ وهذا ضمن ما أثارته شبه

الملحدين، يقولون أن محمدا نشأ في أمة بليغة ولها في البلاغة مجال ، ولها في الفصاحة تميز. ولها في الأداء الجميل المستنير سوابق ، فلماذا لا تجعلون مسألة القرآن من محمد سابقة جميلة من هذه السوابق ، كما وجد منهم شعراء وخطباء وحكماء؟ وما دامت هذه الظاهرة في البلاغة شائعة لماذا لم تجعلوا القرآن من هذه الظاهرة الشائعة إلا أنها ظاهرة متفوقة.

نقول لههم: إذا كان صاحب هذه الظاهرة لم يقل بها ولم ينسبها له وقال لهم ليست هذه المعجزة لي وإنما أنا ناقلها من إله بعثني إليكم بدليل أنكم لم تجربوا على طيلة عمري أني بليغ أو أني أديب ، أو أني كاتب أو أني شاعر أو أني خطيب.

﴿ قُل لَّوْ شَاء اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ (يونس:١٦).

أذن فلابد أن يكون صادقا ، وإذا كان قد جاء بذلك وأنتم تنسبونه إلى الكذب وأن القرآن قد جاء به سابقة من سوابق العصر متفوقة.

نقول لهم إذا كان قد كذب نقول لهم فما الكذب؟ كل كتاب يكذب يحاول أن يحقق لنفسه نفعا لم يوجد قيل الكذب.

فما النفع الذي يريده محمد عليه الصلاة والسلام ، حتى يدعوه إلى الكذب؟ إنه كما نعلم عاش فقيرا عاش مسكينا متواضعا) (عاش يلبس المرقع. عاش لم يشبع من خبز الشعير ، فإذا كان الأمر كذلك. فلماذا إذن كذب؟).

إذن فليس الكذب مبرر إلا أن يكون قد أراد أن يضع لنفسه موضعا أعلى مما هو فيه ، وهو بالعكس لو أنه اقتصر على ما كان فيه من أمانة التجارة لعاش

في يسر ، وعاش في أمن ورخاء ، وعاش في أسرة مترفة. لم يكن كذلك ، لأنه لم يرد لنفسه الحياة ، وإنما أرادها الله له وهو واهب الحياة.

إن صاحب الكمال ، ينسبه لنفسه ، والقرآن كمعجزة في غاية الكمال لم ينسبه إلى نفسه ، وأيضا فإن وجوده في سن الأربعين ومجيء البلاغة الإعجازية له في سن الأربعين ، ولم يسبق له أن قال شيئا من ذلك يدل على أن العبقرية الأدائية لم تنصب عليه في سن الأربعين ، لن ذلك مخالف لنظام العبقريات في مقاييس الدنيا ، فما وجدنا عبقرية في إنسان تتأخر لسن الأربعين ، وإنما العبقريات تأتي عادة في أواخر العقد الثاني وأوائل العقد الثالث.

وهب أنه كانت عنده هذه العبقرية ثم آثر أن يفجرها بعد سن الأربعين؟ من الذي كان يضمن له أن يعيش لفجرها بعد سن الأربعين؟ ، فربما فاجأته المنية فمات وماتت معه العبقرية وهو يشهد أن أباه مات وأمه ماتت ، والناس حوله يتساقطون موتى في أي لحظة بدون توقيت أجلي.

إذن فقول الكفار والملاحدة إنه كذاب ، نقول لهم إن الكذاب عادة يكذب لغاية ، فما الغاية التي من أجلها يكذب محمد؟!!

لقد كانت حياته حياة هادئة رتيبة في مستوى يحسد عليه وفي مركز في تجارة خديجة ، من الممكن أن يعيش به عزيز قوم فما الذي أداه إلى هذا الكذب لنفسه.. لصنع ماذا؟.

ولا متاعب كلها انصبت عليه بعد قيامه بهذه الدعوة ثم بعد أن انتصر في الفتح ودانت له الجزيرة وأصبح سيدها كيف عاش؟

إنه دخل مكة في منتهي التواضع وفي منتهي الانكسار لله ، وقالوا إنه من خشيته وتواضعه لله كانت رأسه وهو على دابته تمس قربوس فرسه.

إذن فذلك هو منتهي التواضع ، وإذا كان يقال لنا إنه كان يمر الشهر ولا يوقد في بيت محمد نار يعني للطهي ، لم يشبع من خبز شعير ليلتين متواليتين.. كل ذلك يدل على ماذا؟

يدل على أنه ليس هناك سبب للكذب ، وأيضاً فإن محمد لم يجعل لأهله حظا في دنيا الإسلام. بل بالعكس منع أهله من أن يأخذوا حظهم من الزكاة وإن كانوا فقراء، منع أهله أن يرثوه " نحن معاشر الأنبياء لا نورث.. ما تركناه صدقة ". إذن فليس هناك سبب يدعوه أن يكذب ليعيش هذه العيشة في هذه الدنيا التي يحاول الناس فيها أن يأخذوا حظهم منها.

وأيضا فإن الملابسات التي مرت به جعلت الناس أمامه قسمين: قسم آمن به، وقسم تصدى له.

التصدي عادة لإبطال دعوى مقابلة يجند لها كل مواهبه ، ويجند لها كل قواه ليحاول صدها فكونهم كفروا بمحمد ،وتصدوا له دليل على أنهم جندوا كل قواهم وما دام قد جندوا كل قواهم ثم انتهي أمرهم. إما إلى أن أئمة الكفر تطرح ، والباقي يذهب إلى محمد ليؤمن به ، وبعد أن كان حربا عليه يكون سلاحا في يده ، كل هذا يدل أن محمدا لم يستلب هذه الزعامة وإنما وهبت له من السماء وكانت لها تبعات لم يستفد منها هو ، ولم يستفد منها واحد من بنيه ولا واحد من أهله.

أيضا حين يقول رسول الله ﷺ إني أدلكم على الإله الذي خلق ، والذي رزق ، والذي سخر لكم كل ما في الأرض، مما لا يدخل تحت قدرتكم. إنه الله ولا إله سواه مما تعبدونه من دون الله.

بعد ذلك أعلنها في لا إله إلا الله وأعلنها مدوية وأعلنها في أذن سادة الجزيرة. ومعنى سادة الجزيرة ما كان يستطيع أي عربي أو أي قبيلة أن تقف

في وجهها. ومحمد وحده ، وحوله قلة من الصحابة المستضعفين يقولها لا في أذن سادة مكة وحدها بل في إذن سادة الجزيرة كلها ، سادة الجزيرة المسيطرون عليهم في رحلة الشتاء والصيف للتجارة ، ولا تستطيع أي قبيلة أن تقف ي وجهها.

هؤلاء القوم " محمد وحده " يصيح في أذانهم ليهد لهم ذلك الجبروت وليدك لهم هذه السيادة ، وليقول لهم أن الأصنام التي تعبدونها من دون الله لا تضر ولا تنفع ، وإنما يجب أن تتجهوا إلى الله ، هذا ما يريده محمد وما يريده الإسلام بصيحته " لا إله إلا الله " وبعد ذلك ظلت الكلمة منكرة ممن كفر بها، ولم يدع إله من الذين يدعونهم أن يكون أمام هذا الإله ليقول لا " أنا الإله" وليس هذا هو الإله وظلت كلمة " لا إله إلا الله " بدون رد من إله آخر فإن كانت المسألة لأنه لا إله إلا الله صحيحة ، إذن قضية الإيمان انتهت بالصدق ، وقضية الإيمان انتهت بالواقع وإن كان هذا الكلام ليس صحيحا وليس حقيقيا ، وفيه إله ، ألم يسمع أن إلها قال إني الإله الواحد ، وإنه لا إله إلا أنا. أسمع أم لم يسمع؟

إن لم يكن قد سمع فيكون إلها نائما لم يدر ما يحدث حوله.

وإن كان قد سمع فلماذا لم يتجه هو الآخر ويقول أنا الذي خلقت وأنا الذي رزقت ويكون لك واحد منهما حجة وصاحب الحجة البالغة هو الغالب.. لم ينشأ هذا.

وظلت كلمة " لا إله إلا الله " وإن كفر بها قوم ليسوا نم الآلهة الذين كفروا. إنما الذين يدعون بأن هناك إلها.. الإله الذين تدعونه أين هو وقد قال الإله الحق لا إله إلا أنا ويقول الله:

﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ

﴿ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران:١٨). أين هو؟

إذن إن لم يكن صدقا لا يصح أن يكون إلها لأن الكون أخذ منه والربوبية أخذت منه وهو لا يدري ، أو هو يدري ولا يقدر أن يواجه من أخذ الكون منه إذن هو لا ينفع أن يكون إلها.

فقولنا " لا إله إلا الله " بدون معارض من آلهة أخرى لا من أمثالنا، إذن تظل الدعوى لصاحبها قائمة إلى أن يقوم معارض جديد لينفي هذه الدعوى.

إذا أردنا أن نكتفي بهذا القدر ونردهم بحقائق الوجود أى واجب الوجود وهو الله ويكتفون بهذا فلا مانع وإن لم يكتفوا بهذا القدر فنقول لهم ، الدين الذي جاء حل لكم كثيرا من معضلات الحياة التي واجهتكم بمجهوداتكم أنتم.

علماء السلالات أو الأنساب حينما صنعوا الإحصائيات للسلالات وجودا أن السلالات تصير دائما في المستقبل إلى كثرة.

هو وقفوا عند هذه الظاهرة وكنهم ما استطاعوا أن يتمشوا مع الظاهرة تمشيا إيمانيا ليهديهم إلى أصل الدين ، لأنهم ليس عندهم فكرة الرجوع إلى دين.

ولو كان لهم فكر أن يذهبوا إلى دين كان قد أصبح من الميسور على الباحثين والمفكرين والعقلاء الذين يستنبطون من مادة الأرض ومن التجارب والمعمل كان من الممكن أن يذهبوا إليه.

ولذلك الذي يضع الحقيقة الدينية نصب عينيه ، وهو يبحث ينتهي دائما إلى الإيمان.

ولكن الناس في غفلة عن هذه المسألة.

نقول لهم إن العالم سكانه ألآن خمسة آلاف مليون نسمة إذا كنا قبل قرن

obeikandl.com

من الزمن كم كان عددنا؟ قدر أي عدد نقول ألف مليون وقبل قرنين خمسمائة مليون وقبل قرون سلسلها في القدم فستنتهي إلى أنك كلما أوغلت في القدم أنقصت في العدد.

إذن التكاثر نشأ في الاستقبال. وما دام التكاثر ينشأ في الاستقبال، تكون القلة ناشئة في الماضي، ونتدرج ونسأل أنفسنا كم كان العدد من عشرة قرون خمسة ملايين ومن ٢٠ قرنا ٢ مليون ومن أربعين قرنا مليون إلى أن نصل إلى مائة إلى أن تصل إلى أقل عدد يأتي منه التكاثر وهو عدد اثنين ولا نقول واحدا لأن الواحد لا يأتي منه التكاثر.

فمهما توغلنا في الماضي فسنصل إلى العدد اثنين.

إذن انحل لغز التكاثر والسلالات والإنسان من الذي حله؟ الذي حله هو الدين، كيف ذلك؟

لقد حل في آية من كتاب الله:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء ﴾ (النساء:١).

إذن انحل لغز السلالات والأنساب ولغز التكاثر في الوجود، قضية لا يمكن أن يجادل فيها إنسان وإلا كيف كنت؟

يمكننا من هذا المنطلق وهذه الحقيقة أن نرد على الذين يقولون إن الإنسان أصله قرد.

نقول لهم إن كل جنس موجود باستقلاله، فالدين الخالد هو الذي حل كل القضايا الأساسية في الوجود التي سينتهي إليها الإنسان يبحثه مجردا عن التدين ليحل له هذه القضايا.

obeikandl.com

فقول الله تعالى:

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الذاريات:٤٩).

وأيضا كيف تكلم الملحدون فنحن نتمادى معهم لنأتي لهم بالشبه التي يوردونها ويقولون أنتم تؤمنون بإله خرافي ليس موجودا نقول لهم الإله الذي تقولون عنه إنه خرافي هو الذي فسر لنا الحقائق التي وصلتم إليها.

هذا الإله هو الذي أوصني إلى هذه المعلومات.

أ/ محمد عليه الصلاة والسلام فقد بلغها لي فقط وإلا لو قلتم إن محمدا ليس برسول ، فماذا تريدون أن يكون؟

تريدون أن يكون إلها ، وهو لا يرضى أن يكون إلها.

إنما هو قال أنا رسول من رب العالمين.

ليس لي من الأمر شيء ، ولا أنسب شيئا لنفسي.

ونرتقي معهم في المناظرة لنثبت لهم أن الكلام الذي يقولونه فرارا من جدية البحث في النظام ومقارنته بنظام إلى أن ينقلونا إلى شيء لا دخل له في المناظرة ولا دخل له في الجدل.

ولكننا دخلنا فيه فقط لنثبت لهم أنهم حمقى، وأنهم لا يريدون أن يصلوا بالأمور إلى حقائقها لأن إيمانهم بإله يسيطر على الوجود كله وقانونه هو الذي يجب أن ينفذ ليمنعهم من أن يكونوا جبارين في الأرض ومتسلطين ويمنعهم أن يكونوا حكاما آمرين بأهوائهم.

انتهينا من الرد على الذين يدعون أن هذا الكون خلق بطبعه وإنه لا إله وراء هذا الكون ، خلقه ويدبره ، وهو قيوم.

وقلنا إن الإيمان بالله حل لنا كثيرا من أقضية الحياة ، التي انتهي إليها العقل في عهدنا المعاصر ، ولولا وجود ذلك الدين وخصوصا دين الإسلام لوجدت في الكون حقائق ، لا تستطيع تبريرها ولا تستطيع تعليلها ، وإذا كان هؤلاء الذين يرجفون حول الإسلام ليشككوا في تعاليمه ، وفي مبادئه ، فإن لنا أن نأخذ قضاياهم الباطلة واحدة واحدة ، لنرد عليها ردا نجعله مصلا إيمانيا. يعطي كل مسلم مناعة تطمئنه على دينه ، وأنه دين لا يمكن أن يقوي عليه أي بطلان أو أن يغلبه أي تبرير. أشاعوا فيما وصلني من الكتب أنهم يشيعون أن محمدا ﷺ رجل كان يصيبه الصرع ، وكل ما حدث مما قال إنه قرآن أو حديث قدسي أو حديث نبوي كل ذلك نتيجة الصرع.

وللرد على هؤلاء نقول باختصار: هل المصروع يمكنه أن يقول ويردد ما قاله حين صرعه؟ إن المصروع يفعل وحين يفيق ينكر ما فعل ولا يذكره ، ولكن الذي حدث لمحمد صلى الله وعليه وسلم أنه كان حين يأتيه الوحي تراه في منتهي الهدوء والسكون ولا يحدث له إلا ما يحدث من اضطراب لا نزوع له كلاميا.

فلم يجربوا عليه أثناء الوحي كلمة خرجت منه ولا تصرفا في جوارحه وإنما يلاحظون أشياء كانت تحدث فيه وهو في منتهي الثبات وفي منتهي الاستقرار وفي منتهي الاتزان وإذا ما انفصلت عنه هذه الحالة. حكى ما أوحى به الله له ، والذي يدل على بطلان ذلك أنه كان يوحي إليه النجم (الآيات) من القرآن طولا يستغرق وقتا طويلا ليحكيه ويقوله.

فإذا ما قاله كتبه كتاب الوحي عنه يجيء إليه الوحي بالقرآن فيقرؤه في الصلاة. حين يقرؤه في الصلاة يقرؤه كما كتب عنه ، فهل يوجد واحد يستطيع أن يأتي بكلام يستغرق الساعة فأكثر ثم يقال له أعده كما قلته فيعيده كما قاله؟

لا شك أنه حين قال فكتب عنه وحين قال ما كتب فجاء طبق ما قال دليل على أنه يصدر عن قضية قالها القرآن: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى﴾ (الأعلى:٦).

لأن هذا أمر خارج عن نطاق البشر، فهات أي إنسان ليتكلم ربع ساعة، ثم سجل عليه ما تكلم به، ثم قل له أعد على ما قلت، إن لم يكن حافظا وربما إن كان حافظا أيضا فإنه ينسى ولا يستطيع إعادته طبق ما سجل عليه.

أما الرسول: نقول له هات لنا كلاما جديدا وقل لنا فيه، ثم سجل عليه ذلك، ثم قل له أن يعيد ما سجل عليه، فلا تجد فارقا بين ما قاله فكتب عنه، وبين ما يردده في الصلاة بعد أن كتب عنه.

أشاعوا وقالوا إن كلاما جاءنا عن محمد يقول عنه إنه قرآن، مرة ويقول أنه حديث قدسي ومرة يقول أنه حديث نبوي.

جعلوا من ذلك مصدر تشكيك قالوا إنه كان حين يروق له أن يقول ذلك قرآن، يقول إنه قرآن. وحين يروق له أن يقول هذا حديث قدسي، يقول: هذا حديث قدسي، وحين هو يروق له أن يقول هذا حديث نبوي يقول: هذا حديث نبوي، نقول لهم إن الذي أخذتموه لتجعلوه ضد نبي الإسلام هو في صالح نبي الإسلام، ولكنكم قوم حمق، وعناد يترك الله بعض الحق عند الأحمق لينبه على حمقه.

نقول لهم: هاتوا لي في عالم الإنس إنسانا له موهبة القول وما دام له موهبة القول، سجلوا له ظاهرة أسلوبه، ثم سلوه أن يغير الأسلوب إلى أسلوب آخر، وسجلوا أسلوبا آخر، ثم اطلبوا منه أسلوبا ثالثا.

إنه لا يستطيع أن يخرج عن أسلوبه أبدا لأن الأسلوب هو الطريقة اللازمة للشخص في أداء المعاني، وما دامت له طريقة في أداء المعاني فإن

الأداء سيأخذ تشخيصا لا يمكن له أن يبرئ نفسه منه ، فإذا ما جئنا بالأسلوب القرآني ، وأسلوب الحديث القدسي وأسلوب الحديث النبوي فسند أساليب ثلاثة ، لا يمتزج فيها أسلوب بأسلوب ، ولا يشتبه فيها أسلوب بأسلوب ، أساليب ثلاثة لكل أسلوب خواصه ومميزاته وطبائعه.

فهل يستطيع بشر أن يجعل لموهبته الأدائية ثلاثة أساليب بحيث يقول أنا سأتكلم ألآن أسلوب قرآن ، وأتكلم الآن أسلوب حديث قدسي ، وأتكلم الآن أسلوب حديث نبوي.

هذا لا يوجد في طاقة بشر ، إذن فهو كما هو القرآن يوحيه الله له ، والحديث القدسي يوحيه الله له.

ولكن الفارق أن القرآن يأتي وحيا معجزا متحدى به.

ولا حديث القدسي يأتي أيضا من الله لكنه ليس متحدى به، ولا متعبدا بتلاوته.

وأيضا فالحديث القدسي لا يمكن أن نصلي به، ولا يمكن أن يكون إلا بطريقة من الطرق التي لم يجيء بها القرآن. فمثلا القرآن جاء بطريقة واحدة هي هذه الطريقة الثالثة فيما أخبر به القرآن نفسه بها حيث قال: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾(الشورى:٥١). إذن كلام الله لخلقه لا يعدو هذه الثلاثة.

ومعنى الوحي إعلام بخفاء، وهذا هو الإلهام كما يسميه العلماء، وليس الوحي المراد به جبريل، ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ** ﴾ أي أن طبيعة البشر لا يمكن أن تتلقى عن الله، لأن القدرة الممكنة مستحيل أن تتلقى عنا لقدرة الواجبة المطلقة.

ولنضرب المثل لذلك " ولله المثل الأعلى " ولنقرب ذلك نقول إن

الطاقات حينما تنتقل من قوى إلى ضعيف لابد أن توجد بينهما وسائط. هذه الوسائط تأخذ من القوي لتعطي الضعيف.

فالقدرة الواجبة المطلقة لا يمكن لبشر أن يتحملها ، بل لابد من إيجاد وسائط.

فالرسول ﷺ يشترك مع إخوانه الرسل في أنه كان يتلقى عن الله. إما إلهام. وإما أن يكلمه الله من وراء حجاب.. وأما أن يرسل رسولا (جبريل) فيوحي بإذنه ما يشاء.

إذن هي ثلاث طريق في توصيل الوحي إلى الرسل كل ما يمكن أن يكون من الاتصال بين الله وبين رسوله مرة يكون بالإلهام الذي يسميه الله وحيا ، ومرة يجيء الكلام من وراء حجاب كما حدث ليلة الإسراء ، أو كما حدث لموسى حين كلمه ربه ولكن القرآن لم يجيء إلا بطريق واحد. هذا الطريق الواحد هو أن يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء ، إذن فالقرآن لم يثبت إلا بهذا الطريق ، ولكن الحديث النبوي والحديث القدسي يثبتان بالطريقتين الأخريين.

• ولماذا حظى القرآن بهذا؟ لأن القرآن معجزة ومتحدى بها ، فلابد أن يوجد وحي من الله. ليكون ذلك إلزاما.

لأنه إما أن تتغير بطبيعته ﷺ بعض الشيء ليمكن أن تتقبل عن الوحي ، وإما أن يتمثل له الوحي مرة كرجل.

وحينئذ تكون المسألة خفيفة على رسول الله ، لأن الرسول ﷺ بقى على طبيعته البشرية. وأمين الوحي هو الذي انتقل من طبيعته إلى رجل ، كما حدث حينما جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ في صورة صحابي وسيم الوجه يسمى

"دحية الكلبي" وأسند ركبتيه إلى ركبتي رسول الله ﷺ يسأله عن الإسلام وعن الإيمان وعن الإحسان ، والرسول ﷺ يجيبه ، ويقول له جبريل صدقت ومعنى أن جبريل يصدقه دليل على أنه يعرف الإجابة قبل أن يقولها الرسول ﷺ.

• فقال الصحابة: عجبنا يسأله ويصدقه ، فلما انصرف قال لهم رسول الله ﷺ: هذا جبريل جاء يعملكم أمور دينكم وبهذا زال العجب عن الصحابة.

• إذن فالوحي قد يتشكل ، وقد يحدث للنبي صلى الله ولعيه وسلم في ذاته ما يجعله أهلا لتلقي الوحي ، فلذلك يقول الذين شهدوا نزول الوحي عليه إنهم كانوا يسمعون حول رأسه دويا كدوي النحيل ، وإنه كان إذا أوحى إليه وهو على دابته تكاد الدابة تئط (تنخ) من ثقل الوحي على رسول الله ﷺ وإنه إذا أوحي إليه ويده على فخذ أحد الصحابة فإنه يثقل عليه. وإنه كان يتصبب عرقا عند نزول الوحي عليه في الجو البارد ، إذن هناك تفاعل حدث في رسول الله صلى فكانت هذه الأحوال إيذانا بأن جبريل جاء ليقول له وحيا ، ولكن الأحاديث القدسية والنبوية جاءت إلى رسول الله ﷺ، فكانت هذه الأحوال إيذانا بأن جبريل جاء ليقول له وحيا ، ولكن الأحاديث القدسية والنبوية جاءت إلى رسول الله ﷺ عن الوحي بمعنى الإلهام (أو أن يكلمه الله من وراء حجاب) ولذلك يجب أن نفهم ألآن اختلاف أسلوب القرآن عن الحديث القدسي ، وعن الحديث النبوي ، يجب ألا يكون مثار تشكيك ، وإنما يجب أن يكون دليلا إيمان على أن الرسول أعطى ثلاثة أساليب للأداء لا يشترك أسلوب مع أسلوب ولا تشتبه طريقة أدائية بطريقة أدائية أخرى.

فطريقة القرآن لها خواصها المتحدى بها ، والحديث القدسي له خواصه ولكن لا يتحدى بها. ولولا أن رسول الله ﷺ كان يقول فيما نقل إليه جبريل عن رب العزة. أو يقول قال رسول الله ﷺ فيما ألهم به عن ربه ، لما

استطعنا أن نفرق بين حديث نبوي وحديث قدسي ، ولذلك رأي بعض العلماء أنه لا يكاد أن يوجد فارق بينهما إلا أن الحديث القدسي توقيفي ، أما الحديث النبوي فبعضه توقيفي ،وبعضه توفيقي، يعني يقول فيوافق مراد الحق وإذا أراد الله أن يرسلا رسولاً إلى خلقه ليرحمهم جميعا ، هذه الرحمة تتمثل في أن جعل مشقة التلقي عن الأعلى قاصرة على واحد ، وإلا فلو أن هذه الحالة جاءت لكل واحد ، وخاطب الله كل إنسان لكان كل إنسان تعرض لمشقة الوحي ، لكونه أختار بعض خلقه، " وأعدهم على عينه " ، حتى يكونوا أهلا لهذا التلقي ، ومع ذلك أصابهم شيء من التعب ، ندرك ذلك من قول الحق ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ [١] وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ (الشرح:١/ ٢).وإذا قرأنا هذه السورة وجدناها بعد سورة الضحى في قوله تعالى. ﴿ وَالضُّحَى [١] وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى [٢] مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (الضحى:١/ ٣).

حينما فتر (تأخر) الوحي عن رسول الله ﷺ لأن الوحي كان يجيء بتبعاته ، وكان يجيء بمشقاته حتى أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي يقول زملوني زملوني دثروني ، أي كأنه يصيبه شيء من الحمى.

إذن فهذه متاعب تحملها رسول الله ﷺ ، عن أمته ليأخذ عن الله، ولو أن الله أراد أن يخاطب كل الناس كما خاطب رسول الله لكان في ذلك العنت ولا مشقة على الجميع.

ولكن الله اصطفي واحدا ليحمله هذه المهمة ، مهمة تلقى الوحي بتبعاته ومشقاته.

ومع ذلك أعده الله ذلك الإعداد الذي يناسب هذا التحمل ولم يسلم من المتاعب والمشقات التي يقول عنها الحق في كتابه ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ [٢] الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ (الشرح:٢/ ٣).

إذن فالشيء الذي كان يأتي أولا بالمشقة ، صحيح وواقع من الوحي على رسول الله ﷺ وأن الرسول ﷺ في الفترة الثانية من الوحي لم تكن المتاعب التي حدثت له في الفترة الأولى هي المتاعب التي تحدث له في الفترة الثانية ، ولذلك قال الله في سورة الضحى: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ (الضحى:٤).

لأن أول علاقة لرسول الله ﷺ بالوحي كانت الدربة صعبة والريادة مشقة.

لكن حين يفصل الوحي عن رسول الله ، وبعد ذلك يذوق رسول الله حلاوة ما ألقاه الله غليه من أمر الوحي بعد أن يهدأ تعبه يعجبه ما أخذه فملا يعجبه ما أخذه فتر عنه الوحي ، لتوجد في رسول الله ﷺ طاقة اشتياقي.

الطاقات الاشتياقية في النفس البشرية تحمل كثيراً من المتاعب وتغسل كثيرا من الجهد.

فإذا ما كان الإنسان يتحمل شيئاً من المشقة في سبيل أن ينال شيئاً من الخير ، يتعب ساعة تناله المشقة ، لكنه حين ينعم بذلك الخير ، يتمنى أن يحدث له ذلك مرة أخرى.

هذا التمني يصوره لنا بعض الفلاسفة تصويرا عظيما ،يقول هب أنك رأيت شجرة من التفاح على جبل ، الصعود إلى هذا الجبل صعب ، ولكنك تحملت التعب ولا مشقة فوقفت مرة ، وتشبثت بالصخور مرة ، ووقعت مرة أخرى ونالك ما نالك من رُضوض أو جروح ، ولكنك في النهاية وصلت إلى الشجرة ، فأخذت منها ثمرة ونزلت بهذه الثمرة. حين تهدأ ، ويهدأ ما نالك من التعب وحين تأكل الثمرة يحدث لك شوق أن تصنع مثل ذلك.

هذا الشوق يودد لك طاقة ثانية فوق طاقتك الأصيلة ويلهيك عن

المتاعب أو يغريك بتحمل المتاعب.

فإذا ما ألهاك عن المتاعب أو أغراك بتحملها. لأنك كنت قبل هذا الأمر متعبا قبل أن تدرك لذة. ولكنك الآن تعب بعد أن تدرك اللذة.

فاللذة التي أدركتها نتيجة التعب الأول هي التي سهلت لك التعب الثاني.. لذلك كان رسول الله ﷺ حينما جاء له الوحي أولا ، لم تأت الثمرة وإنما جاءت متخلفة بعد. فلما جاءته الثمرة جعل الله له فترة وحي ليجد طاقة من الشوق وطاقة من الحنين عند رسول الله ﷺ لحلاوة ما يصله من الله ، هذه الحلاوة والطاقة يسرتا له كثيرا من المتاعب ، ولذلك لم يعد يتعب بعد ما حدث بعد فترة الوحي لا يقول زملوني ولا يقول دثروني ولا ترجف بوادره ، ولا يقول غني جبريل حتى بلغ مني الجهد ، كل ذلك لم يحدث بعد فترة الوحي.

إذن قول الله ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ (الضحى:٤).

لماذا لأنك قد أخذت لذة من المتاعب الأولى.. هذه اللذة يسرت لك فيما بعد أن تأتي وتشتاق إلى الوحي ليأتي لك من جديد.

ولذلك يقول الحق ﴿ وَالضُّحَى [١] وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى [٢] مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (الضحى:١/ ٣).

إنما صنع ذلك لحكمة لا لتوديع ولا لقلي (بغض) ولا لهجر ، وإنما لتربية الاشتياق في نفسك حتى يسهل عليك أمر استقبال متاعب الوحي فلا تجد بعد ذلاك هذه المتاعب.

إذن فالحق سبحانه وتعالى حينما يعطي رسوله ﷺ من فيضه ، يعطيه عطاءات متعددة ، عطاء هو قرآن ويقول ربه له تحد به وعطاء آخر أحاديث

قدسية ليست للتحدى ويعطيه عطاء يفوضه فيه وهو الحديث النبوي.

وليس الحديث النبوي كلاما فحسب ولكن إن رأي الرسول غيره تكلم فسكت الرسول.. فهذا إقرار له منه على ما فعله. فيكون حديثا نبويا أيضا.

إذا فعل صحابي فعلا ووافقه الرسول على فعله يكون حديثا ، ولكن الأحاديث النبوية إما توفيقية وإما توقيفية ، فالحديث القدسي توقيفي من الله ، بدليل أن الرسول ﷺ حين يعرضه ، يعرضه مسند إلى رب العزة ، فيما يرويه عن الله ، وما دام يرويه عن رب العزة فهذا هو السند وفي نفس المتن للحديث ما يدل على أنه حديث قدسي فحينما يقول في الحديث القدسي (يا عبادي..) إذن من الذي ينادي إنما هو الله كما يقول في الحديث٤ القدسي عن رب العزة "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا.."

"يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك في ملكي شيئا" الخ الحديث ، وكقوله في الحديث القدسي " أنا لله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيها بيدي" .

إذن متن الحديث يوحي بأن الله هو الذي يتكلم. فالحديث القدسي توقيفي يعني عن الله مباشرة ولكن أحاديثه ﷺ فيها ما هو توقيفي ، أوحى الله إليه أن يقول بمعانيه ، أو يقول النبي ﷺ فيوافق أو يعدل ولذلك من ضمن الأشياء التي كتب إلي فيها أنكم تقولون إن نبي الإسلام لا ينطق عن الهوى:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ (الحشر:٧).

فالرسول مفوض في الأمر أن يبينه ، فالله شرع الصلاة إجمالا ، وترك للرسول أن يبينها تفصيلا ، عدد أوقات وعدد ركعات وهيئات كل ذلك بمبدأ ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾

فأحاديث رسول الله ﷺ بالنسبة للقرآن كاللائحة التنفيذية للدستور أو القوانين المكملة لمطلوبات الدستور.. فهؤلاء الملحدون اجترءوا على القرآن وعلى رسول الإسلام وعلى أئمة الإسلام وقالوا: الشافعي ومالك وابن حنبل وأبو حنيفة كل أولئك لا نعترف بهم وبعد ذلك اجترءوا على أحاديث رسول الله ﷺ.

***

عمل المرأة:

وهم يقولون على الإسلام بأنه دين جاف جامد، يريد أن يجحد نصف المجتمع لأنه لا يجعل المرأة حركة في الحياة.

نقول لهم إنكم لم تفهموا الإسلام وتحاولوا أن تربطوا بين تصرفات رسول الله ﷺ للمرأة في عصره وبين التصرفات التي توجد للمرأة الآن في العصور الحديثة.

فكلما خرجت المرأة لعمل أو أي شيء يقولون أيضا إنها خرجت للحرب حتى يبيحوا للمرأة أن تجند.

وما دامت المرأة تجند تصبح مثل الجنود ويقولون لك إن فلانة كانت تقول إنها كانت تمرض.. كانت تداوي الجرحى.

وهذا لون من الاختلاط له نظير عندنا لأن الاختلاطات حين تكون محوطة بشيء من العقيدة تحول عن مضار الاختلاط. ففي الحج اختلطت المرأة والرجل في الطواف وفي أعمال الحج وقد تطوف وتجد نفسك لاصقا بامرأة وأنت لا تدري.

ولحكن استحلفك بالله: الرجل الذي كان ينتظر طول حياته ويتمنى أن

يحج مرة واحدة في العمر يحاول أن يكفر بها خطاياه ويغسل بها ذنوبه أفي هذا الوقت يمكن أن يفكر في امرأة؟!

إننا جميعا مر بنا ، إننا قد نجد أنفسنا وسط نساء دون أن نشعر بهن إذن فالموقف يبتعد عن الموقف الذي يفكر فيه الرجل أن يجتمع بالمرأة في مكان.. ما.

كذلك الحرب عملية فيها قتال وجراح وقتلى ومع ذلك ظلت المرأة تؤدي هذا الواجب وهي تحاول جاهدة ألا تأخذ من الموقف أكثر من الدور الذي تقوم به.

ألم تذهب إلى الكافر لتقتله؟ ولما قتلته قالت لحسان أنا قتلت انزل إليه، واسلبه يعني خذ سلبه " الغنيمة التي عليه ".

والله ما منعني من أخذ سلبه إلا أنه رجل ، فقد قتلته وحين قتل فقد الحس والحركة ، ألا يمكن أن تتقدم منه وتأخذ ما معه ما دام ميتا ومع ذلك تحرجت أن تأخذ سلبه ،وقالت لرجل اذهب أنت لأنه سيلتصق به.

إذن هي أخذت الضرورة بقدرها ولكننا لا تأخذ من الضرورة بقدرها ونقول قضية مسلمة.. ويقول بعد ذلك إن المرأة كانت تعمل ،.. و.. تعمل مع من؟ يتكلمون عن أسماء أنها كانت تخدم فرس زوجها وتسقيه وتأتي له بالنار ولكن تعمل لمن؟

ألا تعمل المرأة الآن ولا شرع يقرها مع أبيها ومع زوجها ومع أولادها ومع محارمها..

ألا تعمل المرأة مع بنات جنسها الذين يريدون ألا يحموا المجتمع نشاطه نصفه كما يقولون.

لماذا لا يجعلون للنساء مجالا في حرفهن ويكن هن العاملات وهن المديرات وهن المشرفات؟! إذن نريد أن ننتفع بالمرأة في مجالها وفي نشاطها الذي يصون لها كرامتها وعفتها.

إن قضية المرأة يجب أن تدرس في إطار من الواقع التكويني الخلقي ، قبل أن تبحث من الناحية الخلقية.

فالتكوين الخلقي للمرأة يجب حين نعرفه جيدا أ، نقارن بين وظيفة المرأة في الإسلام وبين ملائمة تلك الوظيفة بالتكوين الخلقي لها ، فإذا ما شئنا أن نبحث هذا الموضوع وله شاهد من واقع الحياة نقول:

المرأة نوع من جنس.. ومعنى أنها نوع من مجنس أن هناك جنسا يجمعها هي والرجل. هو جنس الإنسان والإنسان كما نعرفه في التعريف المنطقي حيوان ناطق ،وناطق يعني مفكر. مفكر يعني له أن يختار بين البديلات. و حركة الحياة لا تتطلب عملا واحدا ، يعمل النوعان للجنس ولكنه جعلت لكل نوع مجاله.

وإذا ما نظرنا إلى المتحرك نجدد أنه هو الذي يقوم بحركة. والحركة دائما تحتاج إلى الزمان ولا مكان ، والزمن إما حاضر أو مستقبل أو ماض ،

والمكان.. ظرف ثابت. الحد يحتاج إلى الظرف(الزمان والمكان). وما دام الظرف " المكان والزمان " للحدث ، والحدث لابد أن يكون من متحرك ينفعل بالحدث ، إذن هناك ثلاثة أشياء: متحرك ، وحركة الحركة تقتضي زمنا ومكانا..

لو نظرنا إلى الوجود كله لوجدنا الزمن عندنا في تقسيمه العام ينقسم انقساما بينا بآيتي الليل النهار ثم يقسم الليل إلى جزئيات والنهار إلى جزئيات

إلا أن جزئيات النهار يجمعها قاسم مشترك وهو الضوء وجزئيات الليل يجمعها قاسم مشترك هو الظلمة. فالظلمة تجمد الحركة ويصحبها السكون ، إذن فالمتحرك لابد له من زمان ولابد له من مكان والزمان يقسم إلى قسمين قسم يتحرك فيه الإنسان وقسم يرتاح فيه الإنسان من الحركة.

ولذلك جعله الله سكنا ولا سكن لابد أن يكون عن تحرك الليل والنهار حركة ، كأننا نسكن في الليل الذي جعله الله سكنا ليمكننا استقبال النهار بالحركة فما لم نسكن لا نستطيع ا، نتحرك ، إذن فالسكون له مهمتان مهمة تربح من تعب حركة اليوم ومهمة تعين على حركة الغد ، فالذي يتعب نهارا ولا يسكن ليلا لا يستطيع أن يعمل بعد ذلك عملا.

ونظرا لأن الزمن انقسم هذين القسمين والله سبحانه هو خالق الإنسان وخلق له الزمان والمكان:

﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (القصص:٧٣).

مهمة الرجل ومهمة المرأة:

إذن الليل للسكن والنهار للابتغاء. ولكن هل خرج الليل عن كونه ظرف زمان وهل خرج النهار عن كونه ظرف زمان؟

إذن فهنا زمان انقسم إلى ظرفين زمانيين الليل والنهار وكل قسم له مهمته ، إن حاولت أن تدخل ظرفا في وظيفة الظرف الآخر تكون قد أفسدت نظام التكوين الزمني.. فحينما يقول الحق سبحانه ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى [١] وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ (الليل:١/ ٢)، يغشى أي يغطي الكون والناس تسكن فيه والنهار إذا تجلى أي اتضح ووضح ، الناس على بينة بأشيائها يسيحون في

الأرض ويضربون فيها يأتي بعد ذلك بالمتحرك ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى [٣] إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ (الليل:١/ ٢)، يعني لكل واحد مجال في سعيه.

" يعني يا ذكر لك مهمة ويا أنثى لك مهمة ".

"فإياك يا رجل أن تأخذ مهمة المرأة وإياك يا امرأة أن تأخذي مهمة الرجل".

وبينكما قدر مشترك وهذا القدر المشترك هو أن كلا منكما إنسان مفكر، وإنسان مفكر أي له عقل يقارن فيه بين البديلات ولكن لك أيها الرجل عقل يخاير بين بديلات في مجالك وللمرأة عقل يخاير بين بديلاتها في منطقتها، فإذا حاولت المرأة أن تأخذ خيار بديلاته أو الجل حاول أن يأخذ خيار بديلات المرأة تقول له أنها ستقف أمامه بنية الأشياء التكوينية ومعنى بنية الأشياء التكوينية.. الطبيعة التي خلقت عليها.

مهمة المرأة:

فهل المرأة أخذت عمل الرجل ولا رجل أخذ عمل المرأة؟ فالمرأة لها مهمة هي الحمل والرضاعة ، فهل للرجل أن يعمل عمل المرأة؟ فالبنية تقف أمامه ، فإذا تساوت المرأة بالرجل وإذا تساوى الرجل والمرأة ظلت مسائل بطبيعة تكوينها منوطة بها.. إذن أأنت صعبتها على المرأة أم خففتها عنها وأيضا فإذا ما أردنا أن تلحظ العملية التكوينية.. نـد أن الرجل يمتاز بالصرامة.. ومعنى الصرامة أن طاقة العقل تتحكم في تصرفاته ، وطاقة العاطفة تكاد تكون على قدرها فيه..

والمرأة تتعرض لمسائل تتطلب العاطفة قبل العقل ، والرجل يتعرض لمهمة تتطلب العقل قبل العاطفة ونلاحظها نحن في حياتنا اليومية

ونجدها.الرجل المتعب حين يرتاح ليلة وله طفل يتألم ويبكي فماذا يكون موقف الرجل من المرأة حين يسمع طفله يبكي؟ لا يرى إلا أن طفله يفسد عليه نومه ويعكر عليه راحته وربما أطلق ألفاظا يسب بها الابن والأم ويقول لها: اسكتي هذا الولد لأني أريد أن أرتاح. ذلك هو منطق العقل لأنه يريد أن يستيقظ ليذهب إلى عمله وماذا بالنسبة للمرأة؟

إن منطق العاطفة يجعل هناك افتراقا.

الرجل يريد أن تخرس الطفل والأم تذهب تهدهد عليه وترعى ألمه وتبعده عن أبليه لأنها لا تستطيع أن تقنع الولد بألا يبكي ، لأنها لا تعلم ما الذي يبكيه. فالطفل يريد قسطا من العاطفة. هذه العاطفة تصطدم مع قضية العقل ، وقد يأتي الولد الصغير ويجلس وبعد ذلك تقضي ظروفه أن يقضي حاجته أثناء الطعام ماذا يكون الموقف؟ أن يسب الأب ويشتم وتأخذ الأم ابنها بعيدا عن الطعام وتمسح بيدها.

إذن فطاقة العاطفة مطلوبة عند المرأة.

وطاقة العقل مطلوبة عند الرجل..

لأنه يريد أن ينتفع بهما في ميادين الحياة.

إذن فللمرأة مهمة وللرجل مهمة ولذلك لا يصلح الرجل أن يتسلم الطفل في ذلك الوقت ، ولكن الأم هي التي تأخذه ولذلك قلنا إنه يجب أن يفهم الناس حقيقة ، حديث رسول الله ﷺ في قوله " خلقت المرأة من ضلع أعوج " لأن مهمتها حنانية فشبه بالضلع المعوج ولكن اعوجاه صالحا لمهمته.

حديث رسول الله ﷺ في قوله: خلقت المرأة من ضلع أعوج لا يعتبر سبا لها.. بل هو مناسب لمهمتها التي خلقت من أجلها.. وهي مهمة حنانية.

لو كان هذا الضلع معتدلا لا يصلح لمهمته لأن الله جعله هكذا ليصون القفص الصدري للقلب والرئتين. إذن فعوجه ليؤدي مهمته.

الناس تفهم أن قوله " المرأة خلقت من ضلع أعوج " يعتبر سبا لها! نقول: لا..

هذا مناسب لمهمتها التي خلقت من أجلها لأن مهمتها حنانية لأنها حملت الابن في بطنها وتحاول أن تحتاط في كل حركة من حركتها، تحاول أن تكون بعيدة عن كل ما يؤثر في بطنها، في حركتها. كل ذلك مناسب لمهمتها، فإذا ما أردنا أن نأخذ عملها في تكوين النشء وجدتها أتعب من الرجل وأشقى من الرجل، لأنها تتعامل مع من لا يفهم، تتعامل مع من لا يستطيع أن يبين موضع ألآمه وتلك مهمة صعبة وأطول مهمة في حياة طفولة الأشياء، أن الذي يحاول أن يجعل مهمة أخرى للمرأة يكون قاسيا عليها.

لأن مهمتها الأصلية إن أرادت أن تكون مخلصة لها وأمينة عليها تحتاج منها ضعف الوقت الذي تعيشه.

وقلنا إن الإنصاف يجب أن يظهر أن المرأة تتعامل مع الطفل.

والإنسان في طفولته يعتبر المثل الأعلى في طفوليات الكائن الحي، الأشياء تختلف في طفولياتها، شيء طفولته مدة ساعة، وآخر يوم، وآخر أسبوع، وآخر عامان، ومع ذلك نجد الإنسان – لأنه السيد للكائنات – طفولته تتناسب مع سيادته.

ولذلك تحدد الطفولة في عرف الإسلام بمرحلة البلوغ.

ولذلك يقول الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ ﴾ (النور:٥٩).

إذن الحد الذي يخرجني من الطفولة هو أن أبلغ الحلم وأصير رشيدا

عندي القدرة على أن أنجب مثلي..

إذن لا يخرج عن الطفولة إلا عندما تكون عنده القدرة على أن يجب مثله.

إذن فمن ولادته إلى أن يبلغ هو طفل.

تلك الطفولة في حاجة إلى حاضن ، هذا الحاضن إذا نظرنا إليه وجدناه في الأب والأم ، حضانة الأب في الخارج ، وحضانة الأم في الداخل.

وإذا نظرنا إلى القيم التي تسيطر على الإنسان عندما يكون شابا وفتيا نجد كل هذه الأشياء تكون عندما تتفتح عنده وسائل الإدراك ، لا تقل إنها تتكون بعد سنة ، إنها تتكون بمجرد أن يدرك ، تبدأ قضية التعلم التي هي من القضايا الكونية التي يمارسها وهو طفل ، إياك أن تفهم أن التعليم هذا لمجرد السن المؤخرة. التعليم معناه أن يوجد سمع ، ويوجد إدراك ، بمجرد أن يوجد بصر، ويوجد إدراك ، بمجرد أن تأتي خميرة من المدركات الحسية ، وتتكون المكونات العقلية.

إذن فكل من يسمع فهو ناطق ومدرك ، وما دام هكذا فعند وجود السمع في الطفل فإنه يتعلم ولكن لماذا طالت طفولته؟

لأن مهمته عالية تتطلب طفولة واسعة لأنه سيتعرض لقضايا كثيرة مجدا تتلاءم ورسالته في الحياة لأنه هو السيد وهو المهيمن على هذه الأشياء وهو الخليفة.. خليفة الله في الأرض ، إذن لابد أن يعد الأعداد المناسب.. ومن هنا فإن طول طفولته يتناسب مع مهمته " الأم هي سيدة هذا الفضل. ومن الممكن أن تأتي له بحاضنة تصنع له أشياء.

" ولكن لا يمكن أن تضع في قلب الحاضنة قلب الأم.. "

قلب الأم له وظيفة أخرى ، وأيضا فإن المحاضن التي صنعوها في الخارج وجاءوا بأطفال كثيرين وتشرف عليهم حاضنة. لم تؤد إلا إلى ما قرأناه في كتاب " أطفال بلا أسر " لأن الطفل تأتي عليه فترة من الفترات يريد أن يكون له راع وحده ، ومعتن به وحده ، بدليل أننا عندما نجد طفلا وولد على رأسه طفل آخر ، نجد ماذا يحدث؟ لو أن الأم نظرت إلى هذا نظرة دون الآخر يحزن ! فما بالك بحاضنة عشرة أو عشرين أو الخ؟

طاقة وزعتها من العطف على أبناء.. بقلب غير قلب الأم فماذا يكون الموقف؟ فالمرأة التي إذا أردنا أن تصل بمهمتها على ما طلب منها يضيق وقتها به ومن الممكن أن تكون المرأة هي كل شيء في الوجود إذا أرادت أن تخلص لمهمتها.

المرأة حين تأخذ مجهد الرجل وتحاول أن تديره إدارة يتسع إلى مطلوبات الحياة ، وتستطيع أن تنمية وتستطيع أن تتعلم صنعة تكسب منها ويصرف كسبها على أشياء في غير طائلها.

كان المغزل وشغل المرأة وإذا نظرت إلى المغزل وجدته يقوم مقام آلة النسيج ومقام آلة الخياطة حتى أنها كانت تقوم بعمل نسيج لزوجها. فإذا كانت المرأة راغبة في زيادة العمل وزيادة الجهد تستطيع أن تصنع. أو أن تكون وزيرة صحة أو وزيرة مالية. تستطيع أن تكون قاضية تقضي بين الأولاد في بيتها ، والإسلام حين طلب من المرأة أن تتفرغ لهذه المهمة أعطاها الطاقة الحنانية التي ترتفع لهذه المهمة.

ويجب ألا نعزل قضايا الإسلام بعضها عن بعض.

يقولون لك: إن حاجة المرأة في الوقت الحاضر تتطلب الخروج إلى العمل.

نقول له: قل حاجة الإسلام. لأنك غيبت قضية من قضايا الإسلام.

تقضي بأن المرأة مطلوب رعايتها من أبيها إن كان موجودا.. مطلوب رعايتها من أخوتها ، مطلوبة من عصبها.. مطلوبة من أعمامها.. مطلوبة من زوجها..

إذن فحين تأخذ قضية الإسلام فلا تعزل قضية المرأة عن قضايا الإسلام فإذا لم تجد المرأة واحدا من هؤلاء أو هم موجودون ولكنهم عجزة.. الإسلام لم يمنع المرأة أن تضرب في الأرض الضرب المناسب لمهمتها وتحتفظ أيضا بكونها امرأة.

ولهن في بنات شعيب.. أسوة حسنة:

وإن قصة بنات شعيب في القرآن هي القضية التي إذا قرأتها بتدبر وجدتها لم تترك عنصرا من عناصر حياة المرأة إن احتاجت للعمل إلا وجاءت بها ، مما يدل على أن القرآن الكريم لا يعرض القصص لقتل الوقت أو الزمن أو الترفيه إنما يعرض القصص لالتقاط العبرة منه فيأتي القرآن ليحدد.. الضرورة.. ويأتي بقضايا الإسلام مع بعضها.. وقضايا الإسلام أن الرجل مسئول عن بناته والإخوة مسئولون عن أخواتهم والرجل مسئول عن امرأته وأمه.

إذن فالإسلام إذا أخذناه جملة واحدة لا تجد فجوة يخرج منها واحد. فإذا احتاجت المرأة وكان المجتمع الإسلامي خاليا من المروءة؟ ضرب الله مثلا في قصة موسى:

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ (القصص:٢٣).

معنى تذودان تمنعان عن الذهاب إلى عين الماء ، إذ كانتا تمنعان

الماشية أن تذهب إلى عين الماء لترد..

ما الذي جعلهما يذهبان للعين؟ شيء ملفت للنظر.. إذن فقول موسى عليه السلام للفتاتين: ما خطبكما؟ كلام طبيعي لأنه رأى فتاتين تذهبان إلى مكان العين ، ومع ذلك يمنعان الماشية من أن ترد العين !!

﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ (القصص:٢٣).

قالتا لا نسقي إذا كان هناك جمع ، وحكى عنه قول يصير القول الواحد يأتي من الجمع ، كيف؟ إذن من الذي قال.. الاثنتان.. إن كانتا قد اتفقنا في هذا المنطق وقالت الاثنتان في نفس واحد ذلك على أنها قضية مدروسة وليست قضية ارتجالية (قالتا).. الاثنتان وكأنه عندما قال ما خطبكما ، جاء الجواب، منهما معا فإن كان الجواب قد جاء منهما معا دليل على أنه جواب مدروس..

إذن هي قضية لم تفاجأ بها.. أو أن واحدة قالت والثانية سكتت.. وإن سكتت الثانية. فمعنى ذلك أن رأيها هو رأي الأولى ﴿ لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء ﴾ كان فيه رجالا كانوا يسقون أيضا.

وأبونا شيخ كبير أي أن الأب المسئول عن الرعاية عاجز عن الحركة والكسب وتلك هي الضرورة.

فلو أن الضرورة كانت تبيح للمرأة أن تخرج مختلطة بالرجل لكان مبررا أن تختلط به عند الماء.. لا.. المرأة أخذت الضرورة خرجتا لأن أباهما شيخ كبير..

القضية بحيثيتها ﴿ لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء ﴾ معناها أنهما أخذتا الضرورة بقدرها بدون تزويد..

صحيح أننا خرجنا لأن أبانا شيخ كبير ، ولكن ليس معنى ذلك أن

نحتك مع الرعاة. بل سنترك أمر الرعاة حتى ينتهوا وبعد ذلك نخرج في فراغ.

إذن فهما خرجتا في إطار الحجاب أيضا.

إذن فإن أبانا شيخ كبير " حيثية الضرورة ، الضرورة بقدرها لم تزد ماذا يكون مهمة المجتمع الإيماني؟ ﴿ فسقى لهما ﴾ لتكون مهمة المجتمع هنا عندما يرى امرأة أخرجتها الضرورة لمجال ، عيله أن يؤدي لها العمل لتعود إلى مكانها الطبيعي.. تلك المهمة هي المهمة الإيمانية.

إذن الإسلام يعرض القضية لنستنبط منها الضرورة ومجالات الضرورة حتى لا نأخذ الضرورة بتزايداتها ونضيف عليها إضافات ليست من مجال الضرورة.

كون القرآن يعطينا القصة من موسى في قوله: ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ يعني موسى لأن الحق بعلمه الواسع علم أن أتباع موسى هم الذين سيصنعون للمرأة حدود الانطلاق عندهم ليكن أسوة لحدود الانطلاق عند غيرهن ، فجاءت من موسى وكأننا نرى أن ما يفد إلينا من صناعات اليهود فيما فعلنه من تأليب المرأة على منهج الإسلام نقول لهم: نبيكم هو الذي (سقى لهما) ومعنى سقى لهما أن السقي لم يكن مهمتهما..

وبعد ذلك نجد أن المرأة من كرامتها أن تنهي هذه المهمة ، لم يجعل الله في القرآن نهاية القصة على يد رجل ولا على يد موسى ولا على يد شعيب (والد المرأتين) وإنما جاء بها عن طريق المرأتين ، فكأن المرأة الكريمة على نفسها ، الحريصة على وضعها العرضي والأدبي في أي مجتمع تحاول جاهدة أن تخرج من الضرورة عندما تجد بصيصا من الأمل يخرجها عن الضرورة ، نجدها في لقطة من الآية عندما يقول الحق ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ﴾ (القصص:٢٦). لو أن المرأة حلالها أن تخرج من مكانها الطبيعي إلى الخروج لما

نبهت إياها إلى أن يستأجر الرجل ليسقى لهما.. أي يمنعها من الضرورة التي أخرجتهما.

إذن المرأة الواعية هي التي تعشق مهمة التستر.. تعشق مهمة الاحتجاب ، لأن الحجاب فيه كرامة المرأة..

***

obeikandl.com